

صَفَرَاتُ إِجْتِمَاعِيَّة

حب العمل :

قام مصنع هوتورن الكهربائي في الولايات المتحدة الأمريكية بتجارب مختلفة بين عماله الذين يبلغون أكثر من ٢٠,٠٠٠ عامل، وكانت غاية هذه التجارب البحث عن أفضل الأساليب في الإضاءة والراحة والتسليّة والحرارة والرطوبة في إنجاز العمل . وقد وجد أن بعض هذه الأشياء أثر في زيادة السرعة في الإنجاز ، ولكنه وجد أن أهم من كل هذه الأشياء المادية ، حب العامل لعمله . وأنه مهما تكن الصعوبات المادية فإن هذا الحب هو الذي يساعد العامل على إنجاز عمله . وهناك عوامل انسانية كثيرة تؤثر في قوة الانجاز أو تأخيرها ، من ذلك مثلا قلق العامل على مركزه أيام الكساد ، وبخذه لأن غيره قد حصل على علاوة بلا استحقاق ، وسوء علاقاته العائلية ، ومناضبة الرئيس له ونحو ذلك ، فإن العامل هنا يحمل في نفسه أحنة يظهر أثرها في عمله . كما وجد أيضا أنه حين يجد الزملاء الذين يسر بزمانهم أو يجد الإكرام والتقدير من رؤسائه أو يجد العدل في تقدير أجره بلا تحيز لزميل آخر ، هذه العوامل الإنسانية تزيد إنتاجه مهما تكن الظروف المادية الأخرى غير ملائمة لزيادة الإنتاج .

إطعام التلاميذ :

شاعت عادة إطعام التلاميذ بين جميع الأمم المتقدمة منذ أكثر من عشر سنوات . فإن تغذية الطفل قد وثبتت بقاءه الى وجدان المعلمين باعتبارها متممة للتعليم لا لأن صحة الجسم لا تنقل في قيمتها عن ثقافة الذهن بل أيضا لأن تعليم الطفل يتأثر مادام الطفل سيئ الصحة . وهناك مثلا " فطور أو سلو " الذي يفطر به التلاميذ في عاصمة نرويج . وهناك اللبن الذي يوزع على الأطفال عند الساعة الحادية عشرة من الصباح في بريطانيا . وأعظم ما تنفقت اليه المدارس في اعطاء الوجبة المجانية هو تكوينها من الأغذية التي تنقص الأطفال في بيوتهم إما لفقر عائلاتهم وإما لجهلهم .

وقد عنيت الولايات المتحدة الأمريكية أخيرا بإطعام التلاميذ وهي تقدم وجبة الغداء الآن لمليون ونصف مليون تلميذ كل يوم بالبحان . وهذه الوجبة تحتوى أهم العناصر الغذائية من أملاح أو فيتامينات . والطفل يعطى مثلا عصير البرتقال محلى بالسكر وقت جوعه ثم ينقص مقدار السكر بالتدريج حتى يتعود شربه بدون . وهذا غير الأطلعمة الساخنة من لحم وخضراوات . وقد وجد أن اطعام الصبي يكلف في العام سبعة دولارات

وشهد المعلمون أن الصبيان الذين يتناولون هذا الغذاء الهجائي قد تحسنت صحتهم وتلبس
ذكاؤهم . بل إن الفرار من المدرسة قد نقص بمقدار ٨٠٪ في المئة لأن هذه الوجبة أغرت
التلاميذ بالحضور .

الآراء العصرية في التعليم :

أصبحت التربية من العلوم التي يعنى بها الاجتماعيون والمربون سواء . والتجديد في آرائها
يتوالى للأثر العظيم الذي أحدثته السيكولوجية في تعليم الطفل وتوجيهه . ومعظم الآراء الجديدة
في التربية يأتى من الولايات المتحدة وبريطانيا وسويسرا وبلجيكا . وكثيرا ما يسألنا القراء
عن كتب عربية تعالج هذه الآراء . ونحن نرى أن في لغتنا كتابين جديرين بالدرس :
أولهما كتاب " طرق التربية الحديثة " للاستاذ محمد حسين المخزنجي . وقد عالج فيه
طرق دكرولى ومونتسورى ودالتون وجيرى ووينيكا وطريقة المشروع . وهذه الأسماء كلها
مألوفة عند المجتدين في عالم التربية . ولا غنية لفارئ يهتم بهذا الموضوع من قراءة هذا الكتاب
الذي يبلغ ٢٦٠ صفحة متوسطة .

أما الكتاب الثانى فهو " أبحاث علم النفس في التربية والتعليم " وقد كتبه في اللغة
الانجليزية ٢٥ عالما ومربيا ونقله الى العربية الأستاذ اد. ون. عبد النور . وهو يحتوى ٣٢٠ صفحة
كبيرة . وهو يعالج جميع الموضوعات السيكولوجية التي تتصل بالمدرسة والطفل ومواد الدراسة
والرق الثقافي وتنمية الشخصية والطفل الشاذ وموقف المعلم الى غير ذلك .

ونظن أن هذين الكتابين جديران بأن يقتنيهما الآباء والمعلمون وأن يدرسوا ما فيهما من
نظر جديد للتربية .

المواليد والوفيات :

تخرج حكومة الولايات المتحدة مطبوعات مصورة عن الصحة العامة يستطيع المعلمون
بالقراءة أقل للمام أن يقرأوها ويتبينوا المغزى منها . ويؤخذ من إحدى الرسائل الصحية
الأخيرة أن وفيات الأمهات وقت الوضع كثيرة . ففى كل عام يولد في الولايات المتحدة
مليونتا طفل . نصفهم في المدن والنصف في الريف . ويموت وقت الوضع ١٤٠٠٠ أم
كل عام كما يولد ٧٥٠٠٠ طفل ميت .

ويقول المتخصصون من الأطباء انه يمكن إنقاذ ثلثي الأمهات من الموت وقت الوضع
إذا عنى بالأأم منذ الشهر الخامس للحمل كما يمكن إنقاذ ثلث الأطفال الذين يموتون قبل
ولادتهم أو في أثناء العام الأول من أعمارهم .

وأقل الوفيات في لأمهات الولادات يقع حين يكون عمر الأم بين الثانية والعشرين والرابعة والعشرين . وأكثر الوفيات يقع حين يتجاوز عمر الأم السابعة والثلاثين .

وأسبب وفاة وقت الوضع كثيرة منها الاجهاض وانسهم بسبب الاجهاض أو بسبب آخر وانسهم وقت الحمل والتزف . وهناك أسباب أخرى مثل سوء البيئة الصحية ونقص الطعام السيء والجهد والفاقة .

وتنصح الرسالة للأمهات بضرورة الاعتماد على مشورة الطبيب منذ الشهر الخامس لحمل والالتجاء الى المستشفى وقت الوضع .

لأخلاق ونصحة :

يجب أن نذكر على يدوم أن لانسان نفس قبل أن يكون جسداً وأن أمراض النفس أعصى من أمراض الجسم كما أنها قد تحدثها . فقد كانت النفس مريضة فان مرضها يؤدي إلى مرض بل إلى أمراض جسمية عديدة ومن هنا قيمة الأخلاق . فان الرجل الذي تعود الحلم والقناعة والتدين والاحياء يعيش في أغلب الأحوال سليماً من الأمراض الجسمية ويعمر طويلاً . في حين أن الرجل الذي يسرع إلى الغضب ويحترق بالاحقاد ويحب الاثراء وتكثر مطامعه يقع في أمراض جسمية كثيرة .

فقد أثبت الاحصاء مثلاً أن القسيسين والفلاحين يعمران في إنجلترا أكثر من مائتين والطبقات . والتفسير لموافق لهذه الصحة المتدرة هو القناعة . كما ثبت أيضاً أن الانفعال والقلق يزيدان ضغط الدم . وكلما زاد حدثت أمراض مختلفة في القلب أو الشرايين تنقص الصحة والعمر . وقد قام طبيبان أمريكيان بتجربة ثبت منها أن "سوء الهضم" ينشأ من الانفعالات النفسية وأن هذا الانفعال قد ينتهي بطول المدة إلى إيجاد قرحة في المعدة .

والعبرة من كل هذا أن للسكينة والعلمانية والحلم والقناعة تأثيراً نفسياً صحياً يؤثر بدوره في صحة الجسم . وأن العكس أى القلق والغضب والاسراف في المطامع — كل هذه وأمثالها تؤدي إلى مرض الجسم .

ملابس الزوجة :

من أحسن ما قاله أحد الأمريكيين أن الزوجة حين تخاطب زوجها وهي متبذلة في ملابس المطبخ وتطلب منه حليه كحالية ، لن تصادف منه في أغلب الأحيان إلا المماطلة أو الاعتذار . ولكنها لو لبست أحسن ملابسها وطبقت هذا "الطلب" نوجدت منه القبول أو على الأقل محاولة إرضائها .

والسبب لهذا واضح . لأن الزوج يقلل من رغبته في زوجته هذا التبذل . والزوجة تصغر في عينه حين تبدو أمامه متبذلة اللباس شعثة الشعر قد غاب عنها أبهة الفستان الأنيق ووسامة الوجه الجميل . وكثير من الزوجات تتعلمن الألفة الزوجية على إهمال ملابسهن وزيتتهن حتى ترتسم لمن في أذهان أزواجهن صورة سيئة ذميمة هي في حقيقتها صورة كاذبة لأن قليلا من العناية كان يكفي لعلو مكانتهن في عيون أزواجهن . وليس عمل المطبخ مما يستهان به أو يمكن إهماله ولكن السيدة الأنيقة تستطيع أن تحتفظ باناعتها حتى وهي تعمل بالمطبخ كما تستطيع استبدال ملابسها لكي تجمعها ملائمة لكل ظرف . وفضلا عن هذا فإن توفير نظافة المطبخ يوفر نظافة الملابس . ومن سوء الرأي أن تحتفظ الزوجة بملابسها الأنيقة للخروج والزيارة وتقابل زوجها في البيت بالثوب البالي أو القذر من الملابس .

المحبة بين الزوجين :

قال المستر فورد صاحب الأنوميكلات المشهورة باسمه : " قضيت أكثر من خمسين سنة لم أحتج فيها إلى أن أجادل المسز فورد " .

وليس معنى هذا القول إنه لم ينشأ خلاف بين هذين الزوجين . إذ المفروض عقلا حدوثه . والذي يعنيه فورد أن الحب يديه وبين زوجته كان على الدوام كفيلا بمنع التشاحن والجلدل لأنه كان يحقق رغبة زوجته حين يجد أن لها هوى في أي شيء كما أنها هي أيضا كانت تنزل على إرادته وتجنب غضبه فلم يكن ثم فرصة للخلاف بينهما .

ومما يذكر عن ج. ب. مورجان الثري الأمريكي المشهور أنه لم ينس طيبة حياته الزوجية أن يهدي إلى زوجته طاقة من الزهر الجميل يوم ذكرى خطبتهما .

وهذه هي الاخلاق التي تجعل الحياة الزوجية تسير سيرها الهنيء بعيدة عن الصدمات والانفعالات النفسانية . ولا شك أن تجنب هذه الصدمات أو الانفعالات يحتاج إلى مجهود يتفاوت مقداره من الكلمة اللينة إلى الثناء والإعجاب إلى الهدية الأنيقة التي تدل على عاطفتي الحب والاحترام . وليس بين الزوجات من تستطيع أن ترد على هذه المعاملة بغير الحب الصادق والتعلق والشعور بالسعادة الزوجية .

اللباس والشخصية :

اللباس هو الصورة التي نتأثر بها من جهة الشخصية ، فنحن نحكم على الرجل أو المرأة حكما أوليا بما يظهر لنا من لباسهما . وهذا الحكم يتغير أو يخصص بعد المعاملة وتبادل الرأي في الشؤون الاجتماعية أو الثقافية . ومع هذا فلا يزال للأثر الأول — من اللباس — قيمته

في المقابلات الأولى التي لم يتح لنا فيها التعامل والتعارف. وهناك حالات يعظم فيها هذا الأثر كما يحدث مثلا حينما يتقدم شاب لأحد الرؤساء يطلب عملا. فإن للنظرة الأولى قيمتها الكبيرة وهي هنا للباس. وأمثلة ذلك كثيرة: منها الشاب الذي لا يعتنى بنظافته ياقته فيتركها تتلوث. ومنها عدم العناية برباط الرقبة فيميل ذات اليمين أو اليسار بدلا من أن يحكم في وضعه من الوسط. ومنها سوء اختيار الألوان سواء في ذلك الطربوش أو رباط الرقبة. ومنها إهمال حلق لحيته أو قص شعره إلى أن يكسو الشمرقفاء. وقد يبدو جليا أن هذه الأشياء صفات ولكنها كبيرة الأثر في المقابلات الأولى التي لا يتاح لنا الحكم على الناس فيها بمحدثهم أو الوصول إلى حقيقة معارفهم وأخلاقهم. ومن هنا وجبت العناية بها جميعها. بل أصبح من الضروري اعتناق عادة التألق والوقار وتجنب كل ما يوهم الإهمال.

أهداف التربية :

التربية أكبر من التعليم لأن غايتها تكوين الشخصية المتنازعة. ويقول الدكتور كول من أكبر علماء التربية في الولايات المتحدة إن أهداف التربية الحقة تنحصر في هذه الأشياء الستة :

١ — تعليم المرء النظر العلمي. وذلك بأن يتعلم أحد العلوم لكي يتقن بوساطته على الطريقة العملية ويقدر بذلك أثر العلم في الحضارة القائمة.

٢ — البصيرة الفنية حتى يستطيع المتعلم أن يجد الجمال الفن مكانا في حياته الاجتماعية والمنزلية والفردية.

٣ — الديمقراطية الاجتماعية وطوالها، تدرس لكي يقدر الفرد الحضارة الديمقراطية ويصير بنتائجها المستظرة.

٤ — النظر الديني أو الفلسفة الدينية حتى يستقر الفرد على عقيدة كونية تكسبه صميرا سليما نشيطا لخدمة الحق والشرف.

٥ — التبعات الاجتماعية التي يجب أن يتحملها كل فرد في عصره.

٦ — اتقان اللغة التي يتوصل بها الفرد الى ثقافة حاوية ملهمة بالعصر الحاضر ومشكلاته وأمانيه.

ويرى الدكتور كول أن الانغماس في الثقافة بغية اللذة الذهنية فقط ليس من الأهداف العالية التي يجب أن يتجه اليها الشباب الأمر يكون لأن غاية الثقافة هي قبل كل شيء خدمة المجتمع لترقيته.

الاجتماع المثمر :

نجتمع بأصدقائنا وتراور غير مرة ولكن ليس كل اجتماع نصيب فيه الهدف الحقيقي . فاننا قد بأخذ بأطراف الحديث الذى قد يكون بريئا الى أنه مع هذا قد يمس غيرنا بنسبة القيل والقال اليه . أو هو قد يكون عبثا لا طائل تحته . ولكن الاجتماعات المفيدة هى التى يختار لها من الأصدقاء من نستطيع أن ننجا اليه للاستشارة فى مهام الأمور أو نتفج بزيارتهم للاستفتاء بهديهم . وليس لمقصودنا الاجتماع المسمى لحسب . بل ترمى إلى غرض أسمى من ذلك هو الانتفاع الروحي حين يستقربنا لخالوس الى صديق أكبر منا سنا وأكثر منا خبره بالحياة الصحيحة . فحينما نبوح له بأسرارنا نجد منه النور والمعرفة والتعصية .

ولذلك يجب الانصاف حقا أو نزور كذلك جرافا . بل نختار الأصدقاء بكل دقة وروية ونعمد إلى الزيارات التى تزيدنا بسطة نفسية وثقافة روحية ورفعة أخلاقية وكل من الرجل أو المرأة إذا بلغا كلاهما درجة التوحيب عليهما عدم إهماله الصداقة التى تكون وسيلة لهذه الغاية . ولذا يجب أن يختار لهذه الغاية النبيلة الذين يمتازون بأسمى الفضائل للصداقة والزيارة فان اجتماع أمثالهم فى البيت متعة نفسية عالية للكبار وتربية لتنمية مدارك الصغار . وكثير من ربات البيوت يقتنين الصديقات من الصف الخيى الذى يسلى بالقيل والقال ولكن فى هذه الصديقة عدوى سيئة فهى أيضا معدومة القيمة لأن ربة البيت لا تتفج بها بزيادة فضائلا وقد تضرها بتحريك أسوأ العواطف عندها .

ما يبقى مما تعلمنا :

قامت مؤسسة كارنجى فى الولايات المتحدة يبحث عن مقدار ما نسى مما تعلمنا بالمدرسة . فعمدت الى سبعين من تخرجى الجامعات الذين تخرجوا منذ خمس سنوات وامتحانهم فى المواد التى درسوها بالجامعة فوجدت هذه النتائج التالية :

- (١) المواد التى نسيت أكثر من غيرها هى الرياضيات والآداب الأجنبية والتاريخ .
- (٢) المواد التى زادت معارفهم فيها على ما كانت عليه أيام تخرجهم هى كلمات اللغة الانجليزية (لغة الولايات المتحدة) .

(٣) كان المعلمون والأساتذة أحفظ للمواد التى تعلموا من التجار .

(٤) وجد أن عملا فى الزراعة قد نسى نصف الكلمات التى تعلم فى الكلية .

وهذه النتائج تدل على أن بقاء المواد فى الذاكرة أو زيادتها يتوقفان على ممارسة المتعلم لها بعد تخرجه من الكلية . أما اذا كانت حياته العملية أو الحرفية لا تتطلب استعماله لهذه المواد فانه ينساها . والمغزى أن التعليم يجب أن ينظر فيه الى مستقبل الطالب من حيث إنه سيمارس ويستقل معارفه أو يهملها حين يترك المدرسة أو الكلية .